عبد الحق فاضل

محمد شيت صالح الحيّاوي

اسمه الكامل : عبد الحق بن فاضل الصيدلي ابن حامد الصوفي. موطن أسرته الأقدم محلة المَشاهِدة في مدينة الموصل حيث مازالت تعرف هناك بآل حامد الصوفي. أما الصيدلي فلقب حديث نسبة إلى مهنة والده إذ كان ضابطا صيدلانيا في الجيش العثماني.

ولما كان التصوف سمة غالبة على طبع والده وراثة وفكراً وفعلاً من جهة وكان معجبا بسيرة أحد المتصوفة المشهورين من جهة أخرى فقد اقتبس اسمه لابنه متمنياً أن يصير شبيهه وسميه. وقد صار حتى في المطابقة بين التسميتين بين من يمكن أن نطلق عليه اسم عبد الحق... حامد (الموصلي) ومن اسمه عبد الحق حامد (التركي) وهو سياسي وشاعر من أسرة فاضلة علماً وأدباً، 1852-1937م. وبالفعل فقد كانت في سيرة المترجم مُثُل وتصرفات ربما كان منها عزوبته طول حياته إذ مضى دون عقب. وبناءً على هذا لا ندري إن كانت نظرته للحياة نظرة صوفية كيف كان يوفق بينها وبين ما تتطلبه الدبلوماسية من قابليات ومداورة وتكيف الأمر الذي تهمنا معرفته ممن لا اطلاع على أحوال عبد الحق وسيرته في السلك الخارجي حتى تعيينه وكيلا لوزارة الخارجية في أوائل العهد الجمهوري ثم نقله فجأة إلى الصين ليعمل سفيرا في بكين حيث طار بعد مدة من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلنطي وتقاعد ليكون خبيراً ومحرراً في مجلة (اللسان العربي) التي يصدرها في المغرب مكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، تلك المجلة القيمة التي عززها الأستاذ عبد الحق والتي كنتُ وما أزال أنشر فيها بعض البحوث والدراسات.

ولنسأل : كيف دخل وزارة الخارجية ونحن نعرف أن معظم موظفيها يومئذ من أسر قوية ذوات نفوذ مالي واجتماعي، الأمر الذي جربته بنفسي آن ذاك فأخفقت من جرائه !

قضية مهمة أخرى هي سكناه في المغرب مدة طويلة تمغرب فيها مختاراً مدينة مراكش للاقامة غير ناس العراق العزيز حيث كان يزوره بين وقت وآخر فهو والحالة هذه لم يخدم المغرب والعراق فحسب بل خدم الثقافة البانية والأدب العربي بمختلف فروعه وميادينه.

وأمر آخر لا يفوتني ذكره أعني حياته وسيرته في المغرب أيضاً حيث كان له أصدقاء يشتركون معه فيها، أو يعرفونها. فالمرجو منهم ومن ذوي العلاقة أينما كانوا ألا يبخلوا علينا بمعلومات لابد أن يكون في عرضها ونشرها ما هو مهم ومفيد لأننا إن كنا نعرف كثيرا عن حياته العامة ونشاطه في الميادين الفكرية والثقافية والأدبية لكننا لا نعلم شيئا من أموره الذاتية وأحواله الشخصية وهي مهمة أيضا لا يُستغنى عنها إذ لا يمكن فصل الحياتين إحداهما عن الأخرى لأن العامة تؤثر في الخاصة والعكس بالعكس.

ولننصرف عن هذا مؤقتا كي نستعرض الموضوعات والأمور التي عالجها في دراساته وبحوثه ومؤلفاته التي لم نجد تسمية تنطبق عليها أدق من وصفها بالمجموعة الأدبية ووصف منتجها بالأديب الكُبَّار. فالأدب كما هو مفهوم من العلوم الانسانية ذات الفروع الكثيرة والشعب العديدة كالشعر والنثر والقصص والرواية والفلسفة وعلم النفس والاجتماع والتاريخ والترجمة واللغات...

يكفي الأستاذ الفاضل فخراً أنه علامة في الأدب ولاسيما فقه اللغة المقارن، أما منحه وسام المؤرخ العربي خلال الندوة التي أقامتها تكريماً له جامعة القاضي عياض في مراكش فتقدير لآثاره وجهوده الفكرية المتميزة في مختلف الموضوعات الأدبية ومنها التاريخ اللغوي الذي كان يستعين به في كتاباته عند الحاجة دون أن يكون محسوبا من المؤرخين.

وبناء على هذا لنترك كل موضوع يتناوله الراغب فيه والمختص، أما أنا فقد كانت لي صداقة شخصية ورابطة أدبية معه مذ كنا في مدينتنا (الموصل) يصدر مجلة (المجلة) قبل ما يزيد على نصف قرن وهي مدة طويلة لم يحصل فيها خلاف ثقافي أو انتقاد أدبي بيني وبينه لأني لا أهتم كثيراً بالفروع الأدبية التي يعالجها الكتاب ما عدا القضايا اللغوية الصرف التي تمسني.

(أولاها) نشره مقالا في مجلة (التراث الشعبي) العراقية بعنوان (تعريب اسم الفلكلور) في العدد السابع من السنة الثامنة 1977 يقترح فيه استعمال كلمة (الفلقيات) بدلا من الفلكلور، فلم يَرُق لي اقتراحه بل ناقشته وارتأيت بدوري استعمال كلمة أخرى جديدة هي (العَمَمِيات) لتراث العوام أي (التراث العَمَمي) ومنه (العمميون) وقد نشر اقتراحي في المجلة نفسها بالعدد الأول من السنة التاسعة 1978.

(ثانيهما) عندما نشرت بحثاً في (مجلة أمانة العاصمة) التي كانت تصدر في بغداد بعنوان (تعريب مصطلحات لعبة النرد) في العدد الرابع عشر — كانون الثاني 1978 حاولت فيه وضع كلمات عربية لأرقام (زهر النرد) بدلاً من الكلمات الفارسية والتركية المتداولة في العراق بين اللاعبين، معتمدا في عملي على الحساب الأبجدي والقيم العددية للحروف تارة ومقترحاً ترجمات وتعابير للكلمات والمصطلحات الأجنبية تارة أخرى. ولا أدري كيف خطر ببالي أن أخبر صديقي لأعرف رأيه فيما فعلت، لذا أرسلت له وهو مقيم في المغرب نسخة من المجلة أجابني عنها برسالة خاصة فحواها أنه لا يؤيدني ولا يوافقني وذلك لصعوبة تغيير ما تعارف عليه اللاعبون والناس واعتادوا عليه علاوة على أن أكثرهم أميون.

أما (الثالثة) وهي الأخيرة فكتاب الأستاذ (أخطاء لغوية) الصادر عن وزارة الثقافة والاعلام والذي يعد موضوعه من أهم ما يشغلني في اختصاصي، ولذلك اضطررت أن أكتب عنه

(مراجعة) في صحيفة (الجمهورية) البغدادية الغراء في 23 أيار 1980 حيث صححتُ بعض أخطائه كما صحح هو بعض أخطاء الاذاعة والصحافة ! فعلتُ ذلك بعد أن قرضت كتابه وشرحت ما فيه من فوائد ومميزات.

وعلى هذا المنوال إذا كتبت شيئا عن آثاره فلن أختار من تصانيفه إلا كتاب (مغامرات لغوية) الذي ما إن تصفحته حتى استرعى انتباهي مرجحاً فيه اكتشافات جديدة واجتهادات مبتكرة لا تُعرف قيمتها إلا بعد فحص عميق ودراسة واسعة ومراجعة مختلف المصادر والمظان الأجنبية والعربية في اللغة الفصيحة وفي اللهجات العامية والدوارج.

أما ما له علاقة باللغات السامية والشرقية والأوربية فلست متعمقاً فيه ولا مختصاً به وإن كان عندي إلمام قليل عندما درستُ قبل نصف قرن في الاعدادية ثم في الجامعة في العراق ومصر.

الفصل الأخير لعلامتنا الفاضل ـ فاضل أنه عاد إلى العراق هذه السنة (1992) وهو مريض كأنه أحسّ باقتراب أجله، وفعلا (مضى بالسابقية يقتدي) في 8-11-1992م ودفن في الموصل بعد أن عاش إحدى وثمانين سنة يرحمه الله.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ عبد الحق فاضل في ذمة الله

تلقت أسرة مكتب تنسيق التعريب ببالغ الأسي نبأ وفاة المغفور له الأستاذ عبد الحق فاضل الذي كان يعمل خبيراً ومحررا في مجلة (اللسان العربية) بمكتب تنسيق التعريب. وبهذه المناسبة الأليمة يتوجه السيد المدير وموظفو المكتب بخالص العزاء إلى أسرته الكريمة، وإلى وطنه وأمته.
رحم الله الفقيد الكريم برحمته الواسعة، لقاء ما قدم من عمل نافع وجليل، وإنا لله وإنا إليه راجعون.